مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد السادس والعشرون - المجلد الرابع - التاريخ - تشرين أول 2025م
doi.org/10.52866/esj.2025.04.26.18

خطط المباني التراثية في منظور مصطفى جواد
تربة زمرد خاتون / أنموذجا

عبير ليث عبد اللطيف ، أ.د. محمد كريم الجميلي
Abeer.l.abdulateet@aliraqia.edu.iq dr.m.aljumaily@gmail.com
الجامعة العراقية / كلية التربية

مستخلص:

تتناول هذه الدراسة الرسم الصوري لتطور البناء الجنائزي في العصور العباسية المتأخرة من منظور مصطفى جواد الذي سلطَ الضوء على هذه التربة ،والتي تعد من الاثار الاسلامية الخالدة ، حيث شيدت لتكون مثوى لزوجة الخليفة المستضيء بأمر الله (567 – 575 هـ/ 1171– 1180م) وام الخليفة الناصر لدين الله العباسي (575 –622 هـ/ 1180 –1225م) زمرد خاتون متبعاً في دراستها اسلوب تحليلي – خططي – تاريخي رصين بين فيها حقيقة انتسابها لزمرد خاتون لا لزبيدة بنت جعفر ، هذا فضلاً عن ابراز قيمتها الفنية والدينية لكونها احد الرموز التقليدية للعمارة العباسية.

الكلمات المفتاحية: خطط ، القبة، جواد، زمرد، منهجهُ.

Heritage building plans from Mustafa Jawad's point of view, Zumurud Khatun Cemetery as a model

Abeer liath abdultef ، Prof.dr. muhammed karim al-jumaily
Al-Iraqi university/college of Education

Abstract

This study deals with the pictorial representation of the development of funerary construction in the late Abbasid era from the perspective of Mustafa Jawad, who shed light on this village, which is considered one of the immortal Islamic monuments, as it was built to be the resting place of the wife of the Abbasid Caliph Al-Mustadi' bi-Amr Allah (567-575/1171-1180 AD), and the mother of the Abbasid Caliph Al-Nasir li-Din Allah (575-622/1180-1225 AD) Zumrud Khatun. Following a solid analytical-planning-historical method in his study, he showed the truth of its affiliation to Zumurd Khatun and not to Zubaydah bint Ja'far, as this was highlighted, in addition to highlighting its artistic and religious value as one of the traditional symbols of Abbasid architecture.

المقدمة

تعد المباني التراثية أحد اهم الركائز الأولية لإدراك فن العمارة الإسلامية من حيث نمط طرازها المتغير عبر العصور، وليس ذلك فقط بل هي خير شاهد على أحوالها التاريخية لذلك عمد الدكتور مصطفى جواد الى بيان التراث الحضاري الإسلامي عن طريقها، ومن بين تلك المعالم التي سلط الضوء عليها هي تربة زمرد خاتون، اذ تعد صرح عمراني قائم الى الان يجسد صورة لمجتمع حضري صغير يرتبط مع النسيج الخططي والاجتماعي لمدينة بغداد.

ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة، اذ دفعت الحقيقة الخططية والتاريخية مصطفى جواد الى تحقيق نسبة هذه التربة الى زمرد خاتون وليس لزبيدة زوجة هارون الرشيد وقد قسمت هذا المبحث الى مطلبين الأول القبة وتطورها، بينما جاء الثاني بعنوان الاخبار التاريخية.

المبحث الأول

تُعد المباني التراثية وثائق عمرانية حية لا تقل أهمية عن الوثائق الخطية، بل تتفوق عليها في بعض الأحيان بثبوتها واستمرار أثرها المادي فهي تمثل مرآة لروح وجمال العصر الذي نشأت فيه.

وتُعرف المباني التراثية -بأنها منشآت تتميز بقيمة تاريخية أو رمزية أو معمارية فنية عمرانية كانت أو اجتماعية[1].

فمن هذا المنطلق سلط مصطفى جواد الضوء على عدد من المباني التراثية الإسلامية، دارساً إياها ومستنطقاً معالمها بوصفها وثائق عمرانية شاملة تعبر عن روح زمانها وجوهرها الحضاري، ومن بين هذه المباني التي تناولها بأسلوب تاريخ ممزوج بتحليل معماري وخططي هي تربة (مقبرة) زمرد خاتون[2]، التي تُعد من أشهر المراقد الأثرية ببغداد وتقع في الجانب الغربي منها عند مقبرة الشيخ معروف الكرخي[3].

لم يكن ذكر مصطفى جواد لتربة زمرد خاتون ذكراً عرضياً، بل اتبع منهجاً تحليلياً عميقاً، ذا طابع تخطيطي واستدلالي، من أجل إثبات صحة نسبة هذا الموضع لها، وليس لزبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد فيقول في ذلك: «**ونحن وان لم نجد نصاً كاملاً خاصاً بتاريخ بنائها فقد تضافرت عندنا الأدلة المعتمدة على استطراد الأخبار على أن هذه التربة لها لا لغيرها لأن للتاريخ وفن الخطط معاً القول الفصل في هذه الأمور**»[4].

فيبدأ بأول عنصر يبني على أساسه استدلاله التاريخي والخططي وهو (القبة)[5] والتي تُعد من

(1) أسامة محمد النحاس ورشا محمد مهران، أساليب التعامل مع مشكلات تطبيق سياسات الحفاظ على المباني التراثية ذات القيمة، بحث منشور في مجلة التراث والتصميم، القاهرة، م2، العدد11، سنة 2022، ص 55.

(2) أم الخليفة الناصر لدين الله العباسي، من أصول تركية عُرفت ببرها وإحسانها ولها وقفات حسان منها بناء المدارس والربط والجوامع، عاشت خلال حكم ابنها مدة لا تقل عن 24 سنة، وتوفيت في سنة 599هـ ببغداد؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764 هـ)، الوافي بالوفيات، بلاط، (دار التراث- بيروت)،2000م، ج14، ص 143.

(3) العاني، علاء الدين احمد، المشاهد ذات القباب المخروطية في العراق، بلاط، (الجمهورية العراقية- وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث- بغداد)، 1982م، ص 52.

(4) العمارات الإسلامية، ص 39.

(5) القبة مرادف في البناء الإسلامي لكلمة تربة او مدفن

أهم الرموز المعمارية الحية الدالة على هوية وحضارة أي عصر[1]، فقد كان يرى أن قبة زمرد خاتون التي تعرف هي وأمثالها (بالميل)[2] بأنها تكاد تكون حصراً لأضرحة الأئمة والكبراء والكبيرات منذ زمن العباسيين[3].

فبإشارته الى زمن هذا النوع من القباب، يعني دليلاً زمانياً يمكن الاعتماد عليه لتحديد الحقبة والشخصية التي أنشأت لها هذه القبة.

ثم لم ينتهي عند هذه النقطة، بل عمد الى إدخالها ضمن مقارنة مع عدد من القباب المشابهة لها أبرزها قبة الحسن البصري[4] وقبة الشيخ عمر السهروردي[5] ببغداد، وقبة يحيى بن القاسم[6] بالموصل التي شيدت في 637هـ[7].

فقد سعى من خلال ذلك الى اثبات صحة نسبة هذه التربة الى زمرد خاتون من خلال تصميمها وزمنها المعماري، فبذلك تكون هذه المقارنة ضمن منهجه الاستدلالي العميق.

ثم يستحضر روايات أخرى تدل على ان نمط القباب المخروطية الشكل هذه معمول بها من قبل هذه الفترة (أي فترة وفاة زمرد خاتون) من خلال استشهاده برواية ابن جبير(ت614هـ)، الذي رأى هذا الطراز المعماري للقباب في محلة الرصافة ببغداد، فيقول الأخير: « وفي تلك المحلة مشهد حفيل البنيان، له قبة بيضاء سامية في الهواء فيه قبر الإمام أبي حنيفة النعمان ﷺ ، وبه تعرف المحلة"، والتي يرجح جواد تاريخ بناءها الى القرن الخامس للهجرة[9].

ويستمر في إيراد نماذج قباب لمقابر أعلام آخرين

أو ضريح الآن، وقد تم استخدام القباب على المقابر بعد ظهور الإسلام بفترة طويلة؛ مصطفى، صالح لمعي، القباب في العمارة الإسلامية، بلاط، (دار النهضة العربية- بيروت)، ص 23.

(1) مجموعة مؤلفين، القباب الإسلامية عمارة فوق العادة، بلاط، (وكالة الصحافة العربية- الجيزة)،2019م، ص 250.

(2) وهي طراز معماري مخروطي الشكل وفي أعلاه من مظاهرها نوع من القرنصة البنائية الجميلة، والتغصين الجانبي مما يشبه جمبدة من الزهرة قبل تفتحها، ويظن مصطفى جواد أن هذا الابتكار استعمل في بادئ الأمر لتظليل الكوى (أي الفتحات الصغيرة الموجودة في القبة للضوء والحرارة)، ثم استمرت لتصبح شكلاً من الأشكال المعمارية، وسميت بذلك لكون رأسها مؤلاً أي حاد كرأس الحربة؛ مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص39.

(3) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص39.

(4) عالم فقيه من أئمة أهل البصرة وإمام عصره، ولد في 21هـ، في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ عاصر كبار الصحابة وسمع منهم (عثمان وعلى طلحة وغيرهم)، رضي الله عنهم أجمعين، كان كثير العلم والحديث رأساً في القرآن مجتهداً، توفي ببغداد سنة 110هـ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج12، ص 91-190.

(5) أبو حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي، الشيخ العارف، وشيخ الشيوخ، كان مليح الخلق، والخُلق متواضعاً، ولد بسهرورد سنة 539هـ، أخذ العلم من عمه أبي النجيب عبد القاهر عبد الله وغيره، من مشايخ عصره، سلك طريق الرياضيات، وقرأ الفقه والخلاف والعربية وحصل من العلم ما لا بد منه، جلس للوعظ بمدرسة عمه أبو نجيب عند شاطئ دجلة، له عدة مؤلفات منها كتاب المعارف في شرح علوم الصوفية وأحوالهم، وغيرها، توفي سنة 632هـ؛ المقريزي، تقي الدين (ت845هـ)، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، ط2، (دار الغرب الإسلامي- بيروت)، 2006م،ج4، ص 379.

(6) لم أجد له ترجمة.

(7) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 39.

(9) رحلة ابن جبير، ص181؛ مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 39.

ومطابقتها مع قبة تربة زمرد خاتون، لإرساء قاعدة استنتاجيه والتي مفادها أن هذا النمط المعماري المستعمل للقبور في تلك الفترة كان يمكن أن يكون محصوراً لأبرز الشخصيات السياسية والدينية والاجتماعية، مما يعزز نظريته التي تنسب هذه التربة الى زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله[1].

ثم يصل قائلاً: «**إن هذا الطراز من القبب المشهدية معروف في العراق قديماً.... أيام لم يكن الآجر الأزرق (أي الكاشي) معروفاً، فإن الآجر الأزرق يقاوم أحسن المقاومة، الحوادث الطبيعية وفواعلها، ولما أخذ البناة يظهرون قبب المشاهد بذلك الآجر منذ أواخر القرن السادس ... انتعش الطراز البيضي لجمال شكله وجمال آجره الأزرق كما نرى اليوم في قبب المساجد ببغداد والمشاهد في كثير من مدن العراق وقراه وتضاءل طراز الميل الأصيل**»، ثم يذكر أن التربة قد رممت فيما بعد عدة مرات وأدخل فيها حضرة جديدة إلا أنها لم يغير شكلها وسمتها وهذه العادة قديمة في ترميم المشاهد حتى اليوم[2].

ومن ذلك نرى ان ابتدأه بالقبة كعنصر استدلالي يبين مدى ثقته بالفن المعماري كونه وثيقة ناطقة وهذا ما يثري منهجه الاستدلالي للمباني التراثية لأنه يتعامل مع هذه الأبنية بأنها نصوص حجرية يمكن ترجمتها الى كلمات وتحليلها للوصول الى الحقيقة التاريخية.

ولم يكتفِ مصطفى جواد بإيراد أخبار قبة تربة زمرد خاتون ووصفها المعماري من حيث شكلها وتكوينها، بل انتقل الى منعطف آخر للوصول الى استدلاله، إلا وهو قراءة تاريخ هذه التربة، مما يدل على أنه استعمل العمارة كمفتاح لأول باب يدخل فيه لحل الإشكالية التي أثارها منتقلاً بعد ذلك الى تاريخها مع قراءة جميلة لخطط بغداد.

فقد ابتدأ كلامه في تسليط الضوء على أن هذه التربة لم تكن مجرد تربة لغرض الدفن فقط، وإنما هي تربة ذات نسيج حضري اجتماعي صغير يحتوي على رباط ومدرسة بنتها زمرد خاتون قبل وفاتها، وكذلك بنت رباط المأمونية[3] ومشهد عبيد الله، لا ابنها الخليفة الناصر لدين الله كما يذكر بعض المؤرخين[4].

فالحقيقة التاريخية هنا نقلها مصطفى جواد من غير تدليس بل وضعها بكل أمانة علمية وما أدل على ذلك إلا قوله: «**وكان الحق يقضي علينا بالفوت والسهو فهي التي بنت البنايات المذكورة، فليس من الإنصاف نسبتها الى الخليفة ابنها وإغفال اسم هذه السيدة المحسنة**»[5].

ثم يؤكد على أن تربة زمرد خاتون قد بُنيت قبل سنة (588هـ/ 1190م)، مستدلاً في ذلك على جملة أخبار استطرادية جمعها تؤكد الأمر، منها ما نقل عن سبط ابن الجوزي: «**أن في جمادي الأولى جلس الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي عند تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي فتاب مئة وثلاثون شخصاً**

(1) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 39-40.
(2) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 40.
(3) يقع هذا الرباط في محلة المأمونية في الجانب الشرقي من بغداد، وكان هذا الموضع داراً لأحد المماليك الكبار، أخذه الخليفة الناصر لدين الله بعد أن قبض عليه لسبب ما، فطلبت أمه زمرد خاتون هذا المكان منه لتجعله رباطاً للصوفية فوافق على ذلك، وتم فتحه بحضور أرباب الدولة وقضاتها، وأعيانها ورتب الشيخ شهاب الدين السهروردي معلماً لها في سنة 579هـ؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط2، (دار الكتاب العربي –بيروت)،1993م، ج40، ص 50.
(4) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص41.
(5) العمارات الإسلامية، ص 41.

ومات في المجلس ثلاثة بوجدهم»[1].

إذن اعتمد على قول سبط ابن الجوزي مفسراً قصده بقول (أم الخليفة) بأنها زمرد خاتون و(الخليفة) هو الناصر لدين الله[2]، فهذا الربط والتفسير بالذات هو جوهر منهجه الذي يعتمد على الدقة في قراءة الروايات التاريخية.

ثم يُدعم الرواية السابقة بأخرى ليؤكد أن هذه التربة بنيت قبل سنة 588هـ، حيث يبين أن أبو الفرج ابن الجوزي كانت له عادة الوعظ تحت تربة زمرد خاتون مؤكداً ذلك سبطه الذي قال: «**وجاء أهل المحال وشددنا التابوت وسلمناه إليهم فذهبوا به الى تحت التربة مكان جلوسه فصلى عليه ابنه أبو القاسم علي اتفاقاً**»[3].

إن جلوس ابن الجوزي للوعظ في هذا الموضع يؤكد أن هذا المعلم كان قائماً في تلك الفترة، ثم أن وفاته في 597هـ تؤكد تحليل مصطفى جواد الذي يرجح وجود هذه التربة قبل هذا التاريخ أي في 588هـ.

ثم يقدم روايات أخرى متعددة منها لابن الأثير (ت630هـ)، الذي أشار الى هذه التربة عند الحديث عن وفاة ابن الخليفة الناصر لدين الله (أبو الحسن علي) الذي توفي في بغداد سنة 612هـ، فيقول: «**لما توفي أخرج نهاراً، ومشى جميع الناس بين يدي تابوته الى تربة جدته عند قبر معروف الكرخي، فدفن عندها، ولما دخل التابوت أغلقت الأبواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة فقيل إن ذلك صوت الخليفة**»[4]، **معلقاً جواد على هذا النص قائلاً: «ومن البين أن جدته هي زمرد خاتون»**[5].

ومن الروايات التي أوردها الى جانب رواية ابن الأثير، روايات لابن الدبيثي (ت637هـ) ولابن الساعي (ت674هـ)[6]، فيعمد الى تحليلها ليُبين أن الاستنتاجات التي توصل إليها معززة بروايات من عدة مصادر تاريخية متينة تُبرهن على ما توصل إليه من حقيقة.

وبعد فحص وتمحيص للروايات وتحليلها يصل الى استنتاج ثابت لديه، إذ يقول: «هذه هي الأخبار الاستطرادية التي ذكرت فيها تربة زمرد خاتون وقد عينتها تعيناً لا يحتمل الشك ولا يطور به الظن، فكيف سميت (قبة الست زبيدة)[7].

بعدما أتم جمع الأخبار الاستطرادية ووصل الى ما وصل من استنتاج انتقل الى تساؤل آخر، من أجل الوصول الى دليل آخر يؤكد حقيقة انتساب هذه التربة لزمرد خاتون ألا وهو كيف سميت زمرد « زبيدة»؟

لقد تتبع مصطفى جواد النصوص التاريخية القديمة التي تذكر أن هذا الموضع هو تربة «زبيدة» حيث يذكر أن أقدم نص عُثر عليه ينسب هذا المكان لزبيدة بنت جعفر المنصور هو في رحلة نيبور

(1) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر (ت654هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: محمد بركات وآخرون، ط1، (دار الرسالة –سوريا)،2013م، ج22، ص6؛ مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص41.

(2) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 42.

(3) مرآة الزمان، ج22، ص 114؛ مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 42.

(4) ابن الأثير، أبو الحسن محمد بن محمد (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، ت: عمر تدمري، ط1، (دار الكتاب العربي- بيوت)، 1997م، ج10، ص292؛ مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص44.

(5) العمارات الإسلامية، ص 44.

(6) مصطفى جواد،العمارات الإسلامية،ص 44-43-42.

(7) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 44.

الألماني الى العراق[1]، الذي ذكر في كلامه عن مكان فسيح مخصص للرماية واللهو يجتمع فيها كبراء بغداد وذواتها مرة في الأسبوع ويقع هذا المكان بين ضريح زبيدة والشيخ معروف الكرخي[2].

إلا أن جواد يرى أن اشتهارها بهذا الاسم كان قبل تاريخ (1180هـ/ 1766م)، وهو تاريخ الرحلة المقدمة آنفاً إذ يقول: «**أن اشتهارها بتربة الست زبيدة هو المعروف بين الناس من قبل ذلك التاريخ الذي ذكرته، كما بان لي بقليل**»[3]، وينفي بعد ذلك الرواية القائلة بانتساب هذه التربة لزبيدة بنت جعفر المنصور جملةً وتفصيلاً، إذ يقول: « **أما نسبتها الى السيدة زبيدة بنت جعفر العباسية كما رآه نيبور وتعارف عليه الناس فهي باطلة لا محالة**»[4].

ومن باب الأمانة العلمية، أقرّ مصطفى جواد بالسبق العلمي لهذا الموضوع، ولم يَدعِ لنفسه أولوية الطرح أو الاكتشاف فيقول: « ولقد عالج هذا البحث قبلنا المستشرق العلامة كاي لسترنج سنة 1900م»، إذ يقول الأخير: «**وأعظم نهب حل في الكاظمية، ولعله أسوأها وقعاً كان أثر فتنة 443=1051**»[5].

وبهذه المناسبة جاء ذكر قبر زبيدة وقبر ابنها الخليفة الأمين المرة الأولى وأنهما قائمان بالقرب من هذين المشهدين (اي ضريح الإمام موسى الكاظم وحفيده محمد بن علي (عليهما السلام)[6].

ثم يقوم لسترنج بإبطال كل الروايات التي تزعم انتسابها لزبيدة بنت جعفر مستدلاً على الحقائق الواردة في تاريخ ابن الأثير التي تنقض القول بأن هذا الموضع قبرها، ولم يلمح في المصادر القديمة التي تذكر قبر معروف الكرخي المجاور لذلك القبر أو أي قبر قريب منه يعود الى زبيدة زوجة هارون الرشيد[7].

ثم يعمد الى ذكر محمود شكري الألوسي وتناوله لهذا الموضوع إذ يقول: «**ثم تكلم في هذا الموضوع بعد كاي لسترنج العلامة السيد محمود الألوسي ونقل ما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة 443هـ من احتراق قبر زبيدة وابنها الأمين في مقابر قريش**»[8].

فالظاهر ان غايته من عرض ما تقدم لتعزيز موقفه بصورة تاريخية دقيقة، ويبين أيضاً أن معالجه الألوسي جاءت مكملة- على ما يبدو- لرؤية لسترنج، مما يدل على اطلاعه على آراء السالفين واعتماده على النصوص الأصلية في تحقيقه الخططي وتحليله التاريخي.

ويعطي بعد ذلك ثقته التامة لما توصل إليه علم الخطط والتاريخ من نتائج تثبيت زيف انتساب هذا الموضع لزبيدة، مؤكداً أنه يعود في الأصل الى زمرد

---

(1) العمارات الإسلامية، ص 44.

(2) نيبور، كارستن، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة: محمود حسين أمين، بلاط، (وزارة الثقافة والإرشاد- مديرية الثقافة العامة- بغداد)، ص40.

(3) العمارات الإسلامية، ص 44.

(4) العمارات الإسلامية، ص 45.

(5) وهي احدى أكبر الفتن الطائفية التي أصابت أهل بغداد في العصور العباسية المتأخرة، خصوصاً خلال فترة السيطرة البويهية عليها، وأسفرت هذه الفتنة عن اشتباكات دموية بين الطرفين، وخمدت نارها بعد تدخل من قبل الخليفة القائم بأمر الله العباسي، والملك الرحيم البويهي المهيمن آنذاك، فضلاً عن سعي كبار رجال الطائفتين لإخمادها، بعد أن استمرت عدة أيام على ما يبدو نظراً لحجم الدمار الذي خلفته؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 9.

(6) نقلًا عن مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص45.

(7) نقلًا عن مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص45.

(8) الالوسي، محمود شكري، تاريخ مساجد بغداد وأثارها، بلاط، (مطبعة دار السلام-بغداد) ص 127؛ مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص45.

خاتون[1]. وبهذا يكون منهجه نقدي دقيق يوازن ما بين المصادر التاريخية والمرويات الشفوية.

ثم يبنِ بعد ذلك تساؤلات أخرى وعديدة قد تخطر في بال كل من يقول إن هذه التربة لزمرد خاتون، لإيجاد السبيل الذي جعل اسم «زبيدة» يغلب على « زمرد» فيقول: « **أفذهبت الكتابة التي كانت في هذه التربة داخل القبة وعلى الشاهد والعمارة المحيطة بها وزالت زوالاً تاماً؟ اذن فمن أخبر الناس أن القبة لإنسان أنثى لا إنسان ذكر؟**» [2].

ثم يفند الروايات التي تنسب هذا الموضع لاسم «زبيدة» منها رواية الأب انستاس الذي نسب هذه التربة الى «زبيدة بنت السلطان بركيارق السلجوقي زوجة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي[3] والتي نقدها مصطفى جواد نقداً علمياً حازماً مبني على تحقيق دقيق من غير المساس بمكانة ونزاهة الأب انستاس، بل وصفه في زمرة « الباحثين الفضلاء»، إلا أنه يرفض رأيه رفضاً قاطعاً بقوله: «**وهذا القول غير صحيح**»[4] ،مقدماً دليلاً تاريخياً وزمانياً لأبطال الحجة بالمعلومة الدقيقة فيقول: «**أن وجود زبيدة بنت بركيارق السلجوقي في تاريخ ابن الأثير لا يعني ان لها قبراً في بغداد، ولا في الجانب الغربي منها....**»، مؤكداً أن وفاتها بهمذان في سنة 532هـ[5].

ثم يعيب على بعض الباحثين الذي يعتمدون على تشابه الأسماء دون تمحيص وتدقيق للموقع الفعلي لذلك الاسم فيقول: « **وهذا الوهم يمثل لنا ضرباً من الأوهام الخططية التي يهم إليها الباحثون المعتمدون على تشابه الأسماء فقط، من دون أن يثبتوا ذلك التشابه بعلم الخطط الذي لا يتجاوز الخطأ فيه عشرات الأمتار، وليس ذلك بذي بال**» [6]. وبهذا يكون منهج جواد قائم على المحاججة المقرونة بالبرهان مع التنبيه الى خطأ النقل دون تدقيق.

ويورد أيضاً روايات لزبيدات أخريات قُرن أسماؤهن بهذا الموضع، فيقوم بتفنيد تلك الروايات، منها رواية أن هذا المكان لزبيدة بنت الوزير نظام الملك الطوسي التي توفيت في بغداد سنة 470هـ، ولزبيدة بنت الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي التي توفيت ببغداد سنة 589هـ، فيقول: «**لم أجد حتى اليوم تاريخاً يذكر موضع دفنها فيا ليت شعري أيجوز لي أن أقول إن هذه القبة المعروفة قبتها بالست زبيدة هي قبتها، وأترك النصوص التاريخية والخططية التي أثبتت أنها تربة السيدة زمرد خاتون؟ أن شرف البحث يأبى ذلك.... على أني لا اطمع في وجدان نص تاريخي حاواً لذلك، لأن عندي من المسلمات أن العباسيين والعباسيات من بيت الخلافة كانوا يدفنون بعد موتهم في مقبرتهم العباسية بالرصافة المجاورة لمحلة أبي حنيفة النعمان من الجنوب أي الأعظمية الحالية، فالاعتبارات التاريخية لا يجوز اطراحها في مثل ذلك للتعلق بتشابه الأسماء**»[7].

ومن خلال ما سبق يؤكد مصطفى جواد على أهمية علم الخطط كأداة منهجية لفهم المعالم التاريخية بشكل دقيق والدعوة الى عدم الاكتفاء بالتواتر أو التشابه الإسمي لقاء معلومة تاريخية قد تُظلل حقيقته بذلك.

وارتباطاً بما سبق يجيب مصطفى جواد على إشكالية حلول اسم زبيدة بدلاً عن زمرد خاتون،

(1) العمارات الإسلامية، ص 45.
(2) نقلًا عن مصطفى جواد، العمارات الإسلامية،45.
(3) العمارات الإسلامية، ص 45.
(4) العمارات الإسلامية، ص 45.
(5) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 45.
(6) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 46.
(7) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 46.

حيث يقوم بزيارة ميدانية الى موقع التربة، ويستقصي حقيقة الاسم الموجود على الأثر، متبعاً تحليلاً لغوياً تاريخياً مبني على معرفة أسماء الأشخاص في السياقات الزمانية والمكانية والتاريخية أيضاً.

فيشير قائلاً: « **يظهر لي أن الكتابة التي كانت على التربة تآكلت وتحاتت فلم يبقَ من اسمها الا «ز....د» والميم من زمرد إذا تأكل أعلاه صار كالباء (بد) أو الياء(يد) فيتألف من ذلك «زبـ....د» وهو قريب من زبيدة كل القرب، أما القارئ الذي قرأ الكتابة – على ما اظن- فقد تبادر الى ذهنه اسم «زبيدة» دون غيرها، لأن زمرد من النساء المجهولات عند أهل العصور المتأخرة، من تركمان وصفويين وأتراك عثمانيين، هذا هو الوجه الذي أراه حقاً في انقلاب «زمرد» الى «زبيدة»..**»[1].

فنراه هنا قد اتبع منهج تحليلي يجمع فيه القراءة المادية للنصوص الموجود على الأثر وبين مدلولاته اللغوية مستنداً على المقارنة التاريخية والاشتقاقية للاسم.

فيختتم بعد ذلك بحثه هذا قائلاً: «نعلم أن كثيراً من ذوي الفضول التاريخي يبدعون أموراً ويذكرون أشياء لا صحة لها فتصدق العامة بأقوالهم وتشيع بينهم وتصبح كالحقائق التاريخية يصعب تكذيبها لصعوبة قبول العامة مثل ذلك التكذيب»[2].

الخاتمة

1. بين جواد حقيقة انتساب هذه التربة لزمرد خاتون عبر تتبع نمط التصميم المعماري للقبة وزمنها.
2. اتبع جواد في دراسته هذه اسلوب علمي رصين يعتمد فيه على ايراد المصادر التاريخية وأخرى خططية لتأكيد حقيقة انتسابها لزمرد خاتون ومقارنتها مع قراءته الميدانية للشاخص المادي.
3. عكس جواد اهمية هذه التربة كونها ليس مكان للدفن فقط بل هي موضع لرباط يُجلس فيه للوعظ، ومدرسة يتردد اليها الطلاب للتعلم.

المصادر والمراجع

اولاً: المصادر الاولية

-ابن الاثير ، ابو الحسن محمد بن محمد (ت 630 هـ).

1 – الكامل في التاريخ ، تح : عمر التدمري ، ط 1، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1997 م .

– ابن جبير ، محمد بن احمد (ت 614 هـ) .

2 – رحلة ابن جبير ، ط 1 ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، بلا ت .

– الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت 748 هـ) .

3 – تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح : عمر التدمري ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1993 م .

– سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابو المظفر (ت 654 هـ) .

4 – مراة الزمان في تواريخ الاعيان ، تح : محمد بركات واخرون، ط1، دار الرسالة ، سوريا، 2013م.

(1) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 46.

(2) مصطفى جواد، العمارات الإسلامية، ص 49.

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت 764 هـ).
5 - الوافي بالوفيات ، تح : احمد الارناؤوط واخرون، بلا ط ، دار احياء التراث ، بيروت ، 2000 م .
- المقريزي ، تقي الدين (ت 845هـ).
6 - المقفى الكبير، تح : محمد اليعلاوي، ط 2 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، 2006م .

ثانياً:- المراجع الثانوية

- الالوسي ، محمد شكري .
7 - تاريخ مساجد بغداد واثارها، بلا ط، مطبعة دار السلام، بغداد ، بلا ت .
- العاني ، علاء الدين احمد .
8 - هالمشاهد ذات القباب المخروطية في العراق، بلا ط ، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والاعلام - المؤسسة العامة للاثار والتراث ، بغداد ، 1982م.
- مجموعة مؤلفين .
9 - القباب الاسلامية عمارة فوق العادة ، بلا ط، وكالة الصحافة العربية ، الجيزة ، 2019 م .
- مصطفى ، صالح لمعي .
10 - القباب في العمارة الاسلامية ، بلا ط ،دار النهضة العربية ، بيروت ، بلا ت .
- نيبور ، كارستن .
11 - رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة : محمود حسين امين ، بلا ط ، وزارة الثقافة والارشاد - مديرية الثقافة العامة ، بغداد ، بلا ت .

ثالثاً: البحوث والدوريات .

12 - اسامة محمد النحاس ورشا محمد مهران، اساليب التعامل مع مشكلات تطبيق سياسات الحفاظ على المباني التراثية ذات القيمة، بحث منشور في مجلة التراث والتصميم، القاهرة ، م 2 ، العدد 11، سنة 2022 م .
13 - مصطفى جواد، العمارات الاسلامية العتيقة القائمة في بغداد ، بحث منشور في مجلة سومر، بغداد، م 3 ، سنة 1947 م .